

بسم الله الرحمن الرحيم
التاريخ الفلسطيني المغني

الحدث ، الزمان ، المكان ، والإنسان
(١٩٢٩ - ١٩٣٩)

عبد العزيز أبو هدبا
جمعية إنعاش الأسرة

حرص العديد من الأشخاص على متابعة الأحداث على المستوى المحلي والعالمي منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا فقاموا بتأريخ هذه الأحداث بأكثر قدر من التوثيق والدقة.

وقد اخذ هذا التأريخ اتجاهين أساسيين.

١- السرد العادي للأحداث من حيث مجريات الحدث والقائمين عليه ، ونتائجه ثم مكان وزمان الحدث .

٢- التأريخ المغني أي المنظوم وفق أوزان معينة ومتنوعة وهو سرد على مستوى الوطن للأحداث التي تمت فوق الساحة الفلسطينية زمانها ومكانها وأحداثها ونتائجها ورجالها في أبيات من الشعر سواء أكان فصيحاً أو باللغة العامية.

وإذا تعمقنا في دراسة هذين الأسلوبين ومدى نجاح أي منهما في الحفاظ على الموضوعية والشمولية في ميدان التأريخ في ذاكرة الشعوب فإننا ولا شك _ نجد أن التأريخ المنظوم والمغني هو الأكثر نجاحاً في سرد الأحداث لما يتميز به هذا الجانب من وجود قوالب لحنية وموزونة يسهل حفظها وتذكرها .

وقد شهدت الساحة الفلسطينية خلال القرن العشرين أحداثاً كبيرة وهامة والتي كان لها كبير الأثر على المجتمع الفلسطيني ، بالتصدي للعدوان الذي يتعرض له شعبنا ،

عدوان على وطنه وعلى أبنائه ، وقد اخذ هذا التصدي أساليب متعددة منها :
المؤتمرات ، والتجمعات ، والاحتجاجات ، ولكنه لم يتوقف عند هذه الأساليب التي
رأى أنها لن تؤدي إلى تحقيق أهداف شعبنا ، ولهذا كان الاتجاه نحو التصدي للعدو
والعدوان بالقوة ، قوة السلاح والوقوف في وجه كل هذه الاعتداءات ومصادرها .
وإذا كان حمل السلاح هو الأبرز والأهم في مجال مقاومة العدو ، إلا أن الأغاني
الشعبية رافقت هذه الأحداث وأرختها مكاناً وزماناً أبطالاً ونتائج .

وسأحاول القاء الأضواء على عدد من الأغاني التي أرخت للنضال الفلسطيني في الفترة
الزمنية ١٩٢٩ - ١٩٣٩ والتي خلفها لنا المبدعون من أشعارهم وأغانيهم وكيف
تعامل شعبنا مع هذه الأغاني حتى يومنا هذا ، وما نشاهده على شاشات التلفاز من
عدة فرق يقف على رأسها فرقة العاشقين .

وحتى تتضح الصورة لا بد من ذكر أهم الأحداث التي مرت على الساحة الفلسطينية
خلال هذه السنوات العشر والتي حظيت بالاهتمام والذكر من خلال السرد التاريخي
:

(١) حادثة البراق عام ١٩٢٩ والتي أشعلت ثورة عارمة في كل أنحاء فلسطين ثم امتداد
أحداثها إلى عام ١٩٣٠ . وإعدام الأبطال الثلاثة في سجن عكا .

(٢) أحداث عام ١٩٣٥ واستشهاد القسام وبعض جماعته في أحراش يعبد في
١٩٣٥/١١/٢٠ .

(٣) الإضراب الشامل الذي استمر ستة أشهر وشمل كل أنحاء فلسطين وما رافق هذا
الإضراب من أحداث وسنتحدث عن هذا الإضراب وفكه لظروف خاصة فيما بعد .

(٤) اشتعال الثورة الفلسطينية ضد الانجليز والصهاينة والتي استمرت حتى عام ١٩٣٩
مع بدء الحرب العالمية الثانية ، وما ظهر خلالها من بطولات ودار خلالها من معارك
ضارية على رحابة الساحة الفلسطينية .

كل هذه الأحداث يسهل علينا أن نقرأها في كتب التاريخ والمؤرخين إذا رغبتنا في ذلك
ولكن هناك سبيل آخر للتأريخ لهذه الحقبة من خلال الأغنية الشعبية الفلسطينية
ودورها في شحذ همم الأبطال لأنها كانت هي الوسيلة الإعلامية الرئيسية .

ويقال بأنك إذا أردت أن تخلد الحدث العام ، فأنظمة شعرا ، ومن ثم غناء لتساقله الاجيال وتسال عن مضمونه وبهذا تعيد دراسة التاريخ بسهولة فائقة .
وعليه فسأحاول تقسيم هذه الأغاني التاريخية إلى مراحل أربع :

١) المرحلة الأولى : ثورة البراق ١٩٢٩ وما نتج عنها من أحداث وما جرى في سجن عكا من إعدام الأبطال الثلاثة عام ١٩٣٠ في الثلاثاء الحمراء ، حيث خلد الشعر والغناء هذه الأحداث التاريخية في إطار الوزن واللحن والقافية .
وهذه قصيدة إبراهيم طوقان (الثلاثاء الحمراء) ترسم مجريات الحدث بمراحله الأربع - وتعمل على تخليد الحدث مع سهولة الحفظ لمجرياته واثاره حيث يقول :

لما تعرض نجمك المنحوس	وترنحت بعري الحبال رؤوس
ناح الأذان واعول الناقوس	فالليل اكدر والنهار عبوس
طفقت ثورة عواصف	وعواطف
والموت فيها طائف	او خائف
والمعول الأبدي يمعن في الثرى	يردهم في قلبها المتحجر

وعند تفصيله الساعات الثلاثة يقول :

١) قسما بروح فواد تصعد من جوانحه زكية
تأتي السماء حفية فتحل جنتها العلية

٢) قسما بروح محمد
تلقى الردى حلو الورود
قسما بأملك عند موتك
وهي تهتف بالنشيد

٣) قسما بروحك يعطاء
وجنة الملك القدير
ما أنقذ الوطن المفدى
غير صبار جسور

ولم يتوقف النظم عند الشعر بل تعداه إلى نظم الزجل والأغاني الشعبية التي لا زالت تتردد كلماتها وألحانها حتى يومنا هذا ، وما قدمته فرقة العاشقين دليل ساطع على صدق ما ذهبت إليه ولم تغب هذه الأغنية عن ساحة الغناء الفلسطيني :

من سجن عكا طلعت جنازة	محمد مجموع وفؤاد حجازي
جازي عليهم يا ربي جازي	المندوب السامي وربعه عموما

محمد جمجوم ومع عطا الزير فؤاد حجازي عز الذخيره
انظر المقدر والتقادير بحكم الظالم تا يعدمونا

والتي نظمها وغناها نوح إبراهيم ولا زالت تردد حتى اليوم .

المرحلة الثانية : أحداث عام ١٩٣٥ : استشهاد القسام وعدد من إخوانه في نزلة الشيخ زيد (حراش يعبد) ولدينا مجموعة من الأغاني التي خلدت هذا البطل وإخوانه وكان على رأس من غنى لهم - وفيما بعد للنضال الفلسطيني حتى عام ١٩٣٨ نوح ابراهيم .

لقد كان نوح ابراهيم منبرا اعلاميا غنى للقسام واخوته ولمسار الثورة الفلسطينية حتى استشهاده بين قريتي كوكب الهيجاء وطمره عام ١٩٣٨ .
وعلى رأس أغانيه ، تأؤه للقسام حيث يقول :

عز الدين يا خسارتك رحى فدا لامتك
مين بينكر شاهمتك يا شهيد فلسطين

XXX

ما احلى الموت والجهاد ولا عيشة الاستعباد
جاوبه رجال امجاد نموت وتحميا فلسطين

وكانت اسطوانات اغانيه تعم كل انحاء فلسطين ، وستحدث عن قسم آخر من أغانيه فيما بعد .

المرحلة الثالثة : استشهاد سعيد العاص في الخضر ١٩٣٦ في الأيام الأخيرة للإضراب .

سعيد العاص مناضل قدم من سوريا ، يشارك إخوانه في فلسطين نضالهم ضد الانجليز والصهاينة ، خاض معارك متعددة وكان قائدا فذاً ، عمل الانجليز بكل الوسائل على تعقبه وتتبع اخباره ، حيث كان لقاء البطولة في ارض الخضر غرب بيت لحم في ١٠/٤/١٩٣٦ ، حيث طلب من الثوار الانسحاب لكثرة جيش العدو ، وبقي هو ومجموعة ابطال يشغلون الانجليز ، وبعد معركة عنيفة دامت اكثر من اربع ساعات

استشهد البطل في ٦/١٠/١٩٣٦ وبقي في ساحة المعركة عدة ساعات ، حيث شيع جثمانه ودفن في بلدة الخضر . وهناك اغنية يغنيها اهلنا في زفة العريس منها المقطع التالي :

مسكين يا سعيد العاص ربك خلونك في المحاس

وكانت له ابنة اسمها سعاد ، وكانت بحاجة للعون ، فجمعت لها التبرعات وفيها تبرع زوجة طالب الخيري اهدتنا حلقا من الماس .

المرحلة الرابعة : الاضراب الطويل تم اندلاع الثورة حتى عام ١٩٣٩ .

بعد احداث يافا الدامية في نيسان ١٩٣٦ امتد الاضراب ليشمل كل انحاء فلسطين وليمتد الى ستة اشهر عربية كاملة (١٧٦) يوما . ضرب فيها شعبنا مثلا رائعا في الصبر والعطاء والتضحية .

حيث اشتعلت الثورة خلال الاضراب بصورة شاملة واسعة في كل فلسطين ، وامتدت حتى ١٩٣٩ ، وظهر خلال ذلك قادة ابطال كانت التضحية بأرواحهم من اجل فلسطين هي مبدؤهم الأهم .

وقد رافق البطولة والاستشهاد إبداعات غنائية تحلّد بطولة العديد من رجالات فلسطين الذين استشهدوا على الثرى الفلسطيني دفاعا عنه .

كما رافق ذلك رفض جماهيرنا لكل الحلول الانجليزية الجوفاء لقضيتنا .

هيا بنا نسير مع الأيام والسنوات الثلاثة وما رافقها من بطولة وما تغنى به الشعراء والرجالون في كل أنحاء فلسطين .

ومن اهم المعارك التي دارت رحاها في اواخر ايام الاضراب ، وفي ٢/١٠/١٩٣٦

معركة بيت امرين على امتداد ١٣ كم بين جبال برقا وبيت امرين شمال نابلس ،

انتصر فيها المجاهدون وهزموا الانجليز وقتلوا منهم عددا كبيرا وغنموا اسلحة كثيرة .

وقد تغنى البعض بهذه المعركة فقالوا :

يوم وقعة بيت امرين اسمعنا شلع المارتين

ومشيناها من جنين توصلنا واد التفاح

ومثلها معركة واد التفاح غرب نابلس :

بمعركة ع واد التفاح ربح الجنة يا عالم فاح

واستشهد فيها الفلاح وحط السبخة بالمرتين

ومعركة بلعا شمال طولكرم ١٩٣٦/٩/٣ .

وجورة بخلص شمال الخليل .

ويقول نوح ابراهيم في الحديث عن هذه المعركة ومعركة واد التفاح :

جورة بخلص مشهورة همتهم فيها مشكورة

لكن وقعه واد التفاح كانت ساعة منظورة

ومما يلفت الانتباه ما تغنى به نوح ابراهيم عن معركة واد التفاح ما قاله عن امراة ارملة

من عصيرة الشمالية / شمال نابلس - باعت صيغتها واشترت بندقية لابنها الوحيد

وطلبت منه المشاركة في القتال ، ولكنه عاد الى البيت فلم تفتح له الباب ، وعاد

وقاتل حتى استشهد واستقبلت جثمانه بالزغاريد :

وتحت عنوان تحية المرأة العربية تغنى نوح ابراهيم مطولاً بهذه البطلة ومما قاله :

اسمحو لي يا سادات وخصوصا يا سيدات

قصة شاهدهما بالذات من امراة قروية

XXX

في هالشورة الأخيرة وبقرية اسمها عصيرة

بجبال نابلس الشهيرة جرت هالقصة التاريخية

XXX

من كثر حماسها وغيرها وشهامتها

باعت فراشها وصيغتها واشترت له بندقية

وعند ذكر الاضراب يدور في ذهني ما اقدم عليه اصحاب البيارات من الايحاء الى

زعماء فلسطين والى ملوك وامراء العرب بانحاء الاضراب حرصا منهم على بياراتهم

وبرتقاله وفعلاً صدر بيان الملوك والامراء في الوقت المناسب للبرتقال ، واقترحت

جريدة الدفاع بفرض ١٠ ملات على كل صندوق برتقال وتقدر الحصيلة ٤٠٠٠٠٠ جنيه ، واقول في هذا المجال مخاطبا البرتقال كأصحاب البيارات :
يا برتقال يا حامل هالاتقال ادعو حكام العرب ورجال هالاعمال
يفكوا هالاضراب وتفتح هالابواب ونجني الثمر ونصدره لتحسن الاحوال

XXX

وفيما يلي صورة للنداء الذي صدر عن ملوك وامراء العرب بفك الاضراب ونلاحظ ان النداء المرسل من قبل الملوك والامراء صيغ بلغة واحدة وبشكل واحد ، ثم ارسل اليهم قاموا بتوقيعه فقط .

كما يتضمن النداء بيان اللجنة العربية العليا الى الامة العربية وما تضمنته من وعود وامال كاذبة من قبل الانجليز .

وهذا ما ثبت فعلا خلال السنوات التالية :-

وفي ختام البيان قرار اللجنة العربية العليا بموعد حل الاضراب ووقف الاضراب ابتداء من ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ .

واثر هذا الاضراب واندلاع الثورة تحركت بريطانيا وأرسلت كبار موظفيها لاحتواء الموقف وعلى رأسهم المستر (دل) لبضع الحلول السحرية للقضية ، وقد خاطبه نوح ابراهيم مستهزئاً :-

يا حضرة القائد دل لا تظن الامة بتمل
لكن انت سايرها بلكن على يدك بتحل

XXX

فهم لندن باللي صار واللي بعده راح يصير
العرب امة أحرار وصادقتها لازمتكو كثير
ولما ظهر انخياز المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، (واكهوب) وبدا تأمره على شعبنا نسمع نوح ابراهيم يندد به قائلاً :

في مدة هاخمس سنين فوضوك ع فلسطين
طيرت حقوق العرب وقويت الصهيونيين
تفتحت ابواب الهجرة حتى صرنا مهددين

وقد تحدث العديد من المبدعين عن نوح ابراهيم فهذا الشاعر الزجال سعود الاسدي يقول :

يا نوح نوح عالوطن مثل الحمام
لما الثورة ودعت قسامها
بتذكر بما بتنذر ايامها
القسام جمرة ولهبت ضرامها
وفي بلادنا من مصر حتى شامها

ولقد تحدث اكثر من مرة عن نوح ابراهيم في مختلف وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية ، ودوره في الابداع الفني التاريخي المنعم وقلت هذه الازجال :

يا نوح جمعت من الاسامي صبرها
وفي ارض الوطن كنت صبرها

نوح صبر ع قومه لما ولت دبرها
وابراهيم صبر ع النار حرها مع جمرها
اله الكون نجاهم من الاعداء وغدرها
وفيهم نصر دعوته وعلا قدرها

XXX

وانت على درب الهدى كنت صدرها
وعز الدين لفلسطين شمسها مع بدرها
وعلى درب الشهادة سرتوا والتقيتوا
وفي جنة الرحمن بتنالوا دررها

ونواصل السير مع احداث الثورة وابطالها والابداعات الفنية التي تؤرخ لتلك

الاحداث ، وذلك بعد مرور عام كامل على فك الاضراب .

هذا شاعرنا محارب ذيب يتغنى على رباته ببطولات الثوار والشهداء ويقول في حديثه

عن معركة بني نعيم ١٩٣٨ نلك المعركة التي استشهد فيها العديد من الابطال :

يقول على لسان عبد القادر الحسيني :

التقينا خمس قواد في ساحة الوغى

معانا شباب مسلحة ببارود

معانا ابو دية (١) ولا يا عزما انتخى

يا قبل في الملك ما صارش موجود

ومعانا ابراهيم (٢) خليف هو وعصابته

بيدو بارودة وشغل ابن داود

(١) ابراهيم ابو دية من صوريف ومن مؤسسي الجهاد المقدس ١٩٤٧/١٢/٢٥ . في صوريف واستشهد متأثرا بجراحه التي اصيب بها في

القطمون بالقدس في بيروت ١٩٥٢ .

(٢) ابراهيم خليف احد قادة منطقة الخليل .

ومعانا ابو الوليد (٣) ويا طيب الشنا
وسد على العسكر ثلاث سدود
وانا عبد القادر بك يا عمي ما بينهم
ويا ديمة لذكرى بالملك موجود
انزلنا ع بني نعيم يا عمي جميعنا
الف مسلح كاملين عدود
والفين جندي طوقوا بذيالنا
معاهم مدافع وحاملين بارود
ثمانين رجل يومها اللي استشهدوا
والجرحي يا عمي ما لهم عدود

(٣) ابو الوليد احمد جابر الحوياتي المولود في التنور قضاء القدس جنوب غرب القدس استشهد ١٩٣٨ بعد ان ضربته الطائرة بقذيفة في واد الصنع جنوب غرب بيت لحم .

واما الزجال موسى محمد الرحال العرطوفي (قضاء القدس) الذي عايش اهم المعارك
في منطقة القدس والخليل ١٩٣٦ - ١٩٣٧ فقال يصف معركة بني نعيم السابق
ذكرها .

اسمع ويش قال العرطوفي

كلام مركب على حروف

فيها ابو الوليد بطل عنيد

بظرب البزر معروف

فيها البيك بطل قتال

دوس المعارك ما بخاف

اما الحاج فرحان سلام : فقد شارك في ثورة ١٩٣٦ وخلد الموقف الفلسطيني
الرافض لقرارات الانتداب البريطاني وخاصة بعد ١٩٣٧ حيث يقول : _

يا آل ثرو كهوب يا نائب السلطان

اعرفت اوجاعنا وماذا يشفينا

خبّر ملوكك والوزراء والاعيان

يلغوا لبلفور وعدا جاء يفنينا

ان كان بلفور يجهل قيمة الاوطان

نحننا بارواحنا نفدي اراضينا

يا مسجد الاقصى افرح لا تكن حزان

لييك لبيك عند الضيق نادينا

يا صخرة القدس كوني في رضا وامان

وان هجرناك الى الرحمن اشكيننا

كنيسة المهدي من كان بك طمعان

حولك تلاقي النصارى والمسلمينا

واختم كلامي باسم طه النبي العدنان

بلفور سقط وعدك حيث تأخينا

وفي عام ١٩٣٧ حدثت بطولة نادرة على الدرب الذي سار عليه الشهداء الثلاثة انها قصة اعدام المجاهد القسامي فرحان السعدي الذي اعدم في رمضان وهو صائم وقد تجاوز السبعين انه الشهيد فرحان السعدي ابن قرية المزار قضاء جنين والذي سميته عمر المختار فلسطين وقلت فيه :

يا فرحان انت المنار

وانت القدوة للثوار

الف تحية للمزار

اللي خلفت فرحان

ومن الابطال الذين خلدتهم الشعراء الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد ابن ذنابة .

وشهيد صانور (يوم ٢٧/٣/١٩٣٩) .

وعند الحديث عن هذا الشهيد البطل يحضر بين يدي مجموعة من اغاني النساء في مدحه وندبه .

تقول ام جمال / كفر اللبد

من الشام لصانور ملينا لقرب ميه

وعلى صانور جرتنا هالمنيه

وتقول اخرى :

فرس القائد على المقبرة عثرت

القنديل انطفا والحرمة وقعت

وتقول ثالثة :

وابو كمال نجود كثير مشاها

وكم بلاد بظرب السيف حماها

ويقول عبد اللطيف الحجاوي احد الرجالين الذين عايشوا الثورة في الثلاثينيات :-

شبابنا هالمغاوير دمروا الاعداء تدمير

اعدانا بترى المصير ونرجع يا حي لقربتنا

XXX

شبابك يا فلسطين كلهم مستعدين

في الميه تسعة وتسعين بيآرقضيتنا

وهناك العديد من الشعراء الشعبيين الذين تحدثوا عن الثورة والثوار في الحقبة ١٩٢٩ - ١٩٣٩ ولكن يضيق الوقت بذكرهم ، فكلي امل ان نوفق في جمع كل ذلك واصداره في دواوين خاصة .

ومن احدث ما قدم شريط بعنوان (هاي دارنا وهاي بلدنا) من انتاج وابداع رائد كبتها والذي يتضمن عددا من الاغاني الشعبية الفلسطينية التي رسمت تاريخ النضال الفلسطيني في حقبة الثلاثينيات ، وكان على راسها اغنية الثلاثاء الحمراء لفرقة العاشقين والتي نظمها نوح ابراهيم حيث لا زالت تقدم درسا في التاريخ والبطولة لابناء فلسطين ، وهذا يؤكد على الدور الايجابي والفعال الذي تؤديه هذه الاغاني رغم مرور السنين والايام ، وذلك لما تضمنته هذه الاغاني من صدق ووفاء وتضحية ولتكون مرجعية تاريخنا في البطولة والفداء والتمسك بالثرى الفلسطيني المقدس . مهما غلت الاثمان ومهما طال الزمان .

رحم الله شهداءنا الابرار على مر العصور ومعهم شهداء الثلاثاء الحمراء والقسام وفرحان السعدي وعبد الرحيم الحاج محمد / شهيد صانور ، وكل شهداء هذه السنوات العشر من تاريخ نضالنا الثابت والمتواصل ، فهذه الاغاني بطولية وتاريخ وجغرافيا وامانة الى الاجيال القادمة لنحافظ عليها انما ارض فلسطين المقدسة ونختتمها بهذا النشيد :

يحي الوطن يحي الدين يحي شعب فلسطين

وانتو يا شعب العرب عالحكومة منصورون

ثلث سنين بليالي ما نمنا بالعلالي

واحننا بروس الجبال للحرب مستعدين

الخلاصة :

يظهر لنا مما سبق اهمية التأريخ بالكلمات المنغمة والمغناة نصا ولحنا وصوتا وموسيقى واحلاما وتطلعات .

وهذا يدعونا الى العمل من اجل الحفاظ على هذا الكنز التاريخي الفني بشتى الوسائل واقترح منها :

١- جمع جميع الاسطوانات التي قيلت في هذه الفترة .

٢- نسخها بكافة وسائل النسخ وحدثها .

٣- اقامة مهرجانات خاصة يقدم فيها هذا الابداع التاريخي الفني .

٤- توظيف هذه النصوص في ايامنا هذه بطريقة فعالة تعكس صدق التواصل بين الاجيال مع الحفاظ على الاهداف السامية والاصالة .

ولقد قدمت عدة فوق ابداعاتها في هذا الميدان وعلى رأسها فرقة العاشقين ، ثم ما اقدم عليه الفنان رائد كبها بانتاجه فلمه (هاي قريتنا وهاي بلدنا) والذي تضمن العديد من الاغاني التي أرخت للنضال الفلسطيني .

وكلي امل ان اكون قد ساهمت في ابراز اهمية هذا الابداع لنواصل جميعا مسيرة الخير هذه لتتناقلها الاجيال التي تضحي من اجل ثرى فلسطين .

رحم الله شهداءنا ومناضليننا وفنانينا الذين خلدوا بالدم والفن اروع تاريخ .

